التراث العربي

مجلة تراثية فصلية

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية

WWW.ATTAWEEL.COM

المجلد السابع عشر
العدد الاول
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

أسد الدين شيركوه

لمحات من تاريخ طب الأطفال في الموصل

د. محمود الحاج قاسم محمد
مستشفى الاطفال ـ الموصل

الحقيقة القائلة بان العلوم على اختلافها ليست من صنع امة واحدة ولا شعب معين ، وان الأزدهار الذي نجده في مختلف الميادين انما هو محصلة حضارات متعاقبة على مرّ العصور باتت مسألة ثابتة ومتفقاً عليها من قبل المفكرين ومؤرخي تاريخ العلم . وان صحة هذه الحقيقة في نظرنا تتجلى بشكل واضح وملموس في دراسة علم الطب ، فالتقدم الهائل الذي نجده فيه اليوم لم يكن من نتاج الحضارة المعاصرة فحسب ، وانما كان حصيلة خبرات وتجارب اجيال وأجيال من فواقل الاطباء على مرّ السنين .

وهذا هو ما اكده احمد بن ابي الاشعث الذي درّس الطب في الموصل قبل اكثر من الف سنة لطلابه عندما امتدح تطور مهنة الطب وتقدمها على مرّ العصور فقال « لأن الصناعة طويلة ولم تصل لهذه الغاية الاّ بالآف السنين والوف الرجال » .

والدور الريادي للأطباء العرب والمسلمين في هذه المسيرة التاريخية اثبتته الدراسات المنصفة العديدة بعد ان كشفت غطاء الحقد وستار التعصب لدى البعض الذين اعتبروا كنوز الفكر الطبي العربي الاسلامي نبتاً غريباً عن العقل العربي الاسلامي واستطاعت تلك الدراسات ان تبرهن على ان ما قام به الاطباء العرب والمسلمون كان امتداداً وتطوراً وبلورة لعناصر ونظريات ومكتشفات ابدعوها عندما فتحوا نوافذهم على علوم امم سبقتهم واخرى عاصرتهم .

وقبل ان ندخل في صلب الموضوع لابد من التنويه الى انه يستحيل الاحاطة في هذه العجالة بمساهمات جميع من نسب او ولد او عاش او درس او درّس الطب في الموصل في حقل طب الاطفال . . لذا سوف استمحيكم عذراً واقصر بحثي لألقاء الضوء على مساهمات اربع شخصيات بارزة من هذا البلد حيث نجد في اعمالهم اصالة دائمة بالنسبة لتطور طب الاطفال على مر العصور ، وحسب تسلسلهم الزمني هم / .

WWW.ATTAWEEL.COM

الأول / احمد بن ابي الاشعث

لقد رسم ابن ابي اصيبعة لهذه الشخصية في ترجمته صورة جديرة بالتسجيل اذ يقول :

« هو ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي الاشعث كان وافر العقل سديد الرأي محباً للخير كثير السكينة والوقار ، متفقهاً في الدين ، وعمّر طويلاً وله تلاميذ كثيرة . وكان فاضلاً في العلوم الحكمية متميزاً فيها . . . . . فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع . . وكانت وفاة احمد بن ابي الاشعث رحمه الله في سنة ثلثمائة ونيف وستين للهجرة »[1] .

وعن كيفية اشتهار ابن ابي الاشعث في الطب يقول :

« انه لم يكن منذ ابتدأ عمره يتظاهر بالطب ، بل كان متصوفاً فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع واتفق انه كان لناصر الدولة ولد عليل في حالة قيام الدم والأغراس ، وكان كلما عالجه الاطباء ازداد مرضه ، فتوصل الى ان دخل عليه وقال لأمه انا اعالجه ، وبدأ يريها غلط الاطباء في التدبير ، فمكنت اليه وعالجه فبرء ، واعطي واحسن اليه . . »[2] فهكذا كانت بداية شهرته كمعالج لمرض مستعص من امراض الاطفال « واتخذ له تلاميذ عدة الاّ ان الخاص به والمتقدم عنده كان ابو الفلاح ويرع في صناعة الطب » .

وكان له عدة اولاد والذي وجدته مشهوراً في صناعة الطب محمد(٣) ومن تلاميذه ايضاً احمد بن محمد البلدي ومحمد بن ثواب الموصلي كما جاء في كتابه الادوية المفردة .

مؤلفاته :

لم يؤلف احمد بن ابي الاشعث كتاباً خاصاً بامراض الاطفال الا اننا نجد في كتبه شذرات بسيطة هنا وهناك لها علاقة بطب الاطفال اما سر تميز ابن الاشعث وتميز كواحد من الطبقة الاولى للاطباء العرب في نظرنا هو تأليفه العديد من الكتب والمصنفات ذات المستوى المختلف حيث الف كتاباً لدارسي الطب المبتدئين واخرى لمن جاوز حد تعلم الطب وتهيأ للدراسات العليا كما ولم تقتصر مؤلفاته على الطب فحسب بل كان شأنه شأن اطباء وعلماء زمانه الذين كانوا يكتبون في كل ما تيسر لهم من العلوم ويمكن تقسيم مؤلفاته الى اربعة انواع :

النوع الاول : المؤلفات غير الطبية وهي :

١ ـ كتاب الحيوان .

٢ ـ مقالة في النوم واليقظة .

النوع الثاني ـ تصانيف كتب الاقدمين من الاعلام والاطباء .

دراسة كتب الاقدمين من الاطباء وخاصة اليونانين منهم كانت العمدة في دراسة الطب وكان لابد لطالب الطب في ذلك الزمان الاحاطة بها لانها كانت الاساس لتقدم هذا العلم عند العرب الامر الذي دفع ابن الاشعث كما دفع غيره من الاطباء العرب الى اقصر وتصنيف الكثير من الامور المعقدة والغامضة ليسهل على المبتدئين من دارسي الطب هضمها في اقصر وقت واقل جهد .

« فقد شرح كثيراً من كتب جالينوس الذي فصل كل واحد من الكتب الستة عشر التي لجالينوس الى جمل وابواب وفصول ، وقسمها تقسيماً لم يسبقه الى ذلك احد غيره » .

« وفصل ايضاً كذلك كثيراً من الكتب وخاصة كتب ارسطوطاليس وغيره ، وجملة مصنفات احمد بن ابي الاشعث في صناعة الطب وغيرها كل منها تام في معناه لايوجد له نظير في الجودة » .

كما وانه « شرح كتاب الفرق لجالينوس ومقالتان فرغ منه في رجب سنة اثنين واربعين وثلثمائة ، وشرح كتاب الحميات لجالينوس العالم »(٤) .

النوع الثالث ـ مؤلفاته الطبية :

وهي كما ذكر إبن ابي اصيبعة .

١ ـ كتاب السرسام والبرسام ومداواتهما ، ثلاث مقالات .

٢ ـ كتاب في القولنج واصنافه ومداواته والادوية النافعة منه مقالتان .

٣ ـ كتاب في البرص والبهق ومداواتهما مقالتان .

٤ ـ كتاب في الصرع .

٥ ـ كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء مقالتان .

٦ ـ كتاب في الاستسقاء .

٧ ـ كتاب في ظهور الدم مقالتان .

٨ ـ كتاب في ترتيب الادوية .

٩ ـ كتاب في المالينخوليا .

١٠ ـ كتاب في امراض المعدة ومداواتها .

النوع الرابع : مؤلفاته للدراسات العليا .

ان مكان ابن الاشعث في الطب العربي الاسلامي هو مكان العالم الذي رسم بنفسه منهجاً للتأليف العلمي ذي المستوى العالي التخصصي سبق بذلك المؤلفين اليوم لطلبة الدراسات العليا (ممن يريدون التخصص في الدراسة بعد الحصول على البكالوريوس) وكان ابرز حصيلات فكره في هذا الباب :

١ ـ كتاب الادوية المفردة ثلاث مقالات :

وكان السبب الباعث له على تصنيفه قوم من تلاميذه حيث يقول « سألني احمد بن محمد البلدي فتكلمت في الكتاب وقديماً كان سألني محمد بن ثواب فتكلمت في هذا الكتاب بحسب طريقتهما وكتبته اليهما وبدأت به في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وهما في طبقة من تجاوز تعلم الطب ودخلا في جملة من يتفقه فيما علم من هذه الصناعة ويفرع ويقيس ويستخرج ، والى من في طبقتهما من تلاميذي ومن اهتم بكتبي ، فان من اراد قراءة كتابي ، وكان قد تجاوز مبدأ التعلم الى حد التفقه فهو الذي سينتفع به ويحظى بعلمه » (٥) .

اما المواضيع التي يشملها الكتاب فهي :

أ ـ القوانين والشرائع التي تنظم علم الادوية والغذاء واستعمالاتها وتأثيرها وكذلك الضوابط الصحية لها .

ب ـ الكليات والخواص ، مقادير الادوية ، التأثير الدوائي للعلاجات النباتية والمعدنية وشبه المعدنية والحيوانية .

جـ ـ استعمال العلاجات بصورة عامة بشكل يبين نبوغه في علم الادوية والعلاجات وصحة البيئة ، واضافة لما ذكر فان الكتاب يحوي اراءه القيمة بالنسبة للدراسة وممارسة واخلاق الاطباء وهي كما يلي :

أ ـ يحذر الاطباء من التفرقة في علاج مرضاهم وان يشعروا بمسؤوليتهم امام الله عن اعمالهم .

ب ـ وحذر الناس من تصديق الدجالين وغير المدربين ـ والجهلاء من المطببين .

جـ ـ ويؤكد على طلاب الطب قراءة كتب الطب الجيدة وضرورة التدريب والتمرن في المستشفيات باشراف اطباء مشهورين وزيارة المرضى لكسب قدرة اكثر . ويمتدح تطور مهنة الطب وتقدمها مدى العصور « لان الصناعة طويلة ولم تصل لهذه الغاية الاّ بالاف السنين والوف الرجال » .

د ـ كرس فصلاً لابراز مسألة مهمة في عصرنا الحاضر الا وهي فوائد اختيار طبيب العائلة الجيد (٦) .

هـ ـ فيه دعوة واضحة لاعلاء منار صناعة الطب والارتفاع بمستواها المهني والاخلاقي اذ يقول « ان الله فرض البلاغ ايها الاطباء ان الله سيسألكم عما عملتم في ابدان الناس فهذا ما اعظ به الطبيب » .

٣ ـ كتاب الغاذي والمغتذي ـ مقالتان فرغ من تأليفه بقلعة برقي من ارمينية في صفر سنة ثمان واربعين وثلثمائة (٧) . في هذا الكتاب يشرح المؤلف اعضاء جسم الانسان من الناحية التشريحية والفسلجية وكذلك المنافع الطبية لكل منهما وعلاقتها وتغذية الجسم (٨) .

وبذلك نأتي على نهاية هذا الموجز اليسير للحياة المريقة الخصبة التي عاشها ابن الاشعث في الموصل الحدباء مداوياً للمرضى ومدرساً للطب ومؤلفاً للكتب الرائعة والشاهدة على نبوغه وشهرته .

الثاني احمد بن محمد البلدى

ترجمة حياته : هو الشيخ ابو العباس احمد بن محمد يحيى البلدى . عربي مسلم من مدينة بلد (بلط) وهي مدينة اسكي موصل الحالية والقريبة من الموصل .

من ابناء القرن الرابع الهجري . لانعرف بالتحديد تاريخ وفاته الاّ اننا نرجح أنه كان حياً قبل عام ٣٦٨هـ .

درس الطب في الموصل على يد احمد بن ابي الاشعث .

ذهب الى مصر والتقى بالوزير ابي الفرج يعقوب بن كلّس وزير المعز الفاطمي والف له كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم في او بعد سنة ٣٦٨ هـ والذي قمنا بتحقيقه وطبع الكتاب ضمن سلسلة كتب التراث التي تصدرها وزارة الثقافة والاعلام العراقية سنة ١٩٨٠ .

لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً اكثر مما ذكرناه عن حياته ونشاطه الطبي .

اما عن مؤلفاته الاخرى فاننا لم نجد لها ذكراً في المصادر والفهارس سوى اشارة (لها علاقة بموضوعنا) من البدى نفسه في الباب الثاني والخمسين من المقالة الثالثة في كتابه تدبير الحبالى حول عزمه تأليف كتاب مستقل عن الجدرى والحميقاء .

ولا نعلم ان كان قد الفه ام انه لم يؤلفه وذلك لعدم ورود ذكره من قبل المؤرخين (٩) .

ان هذه الاشارة لتأليف كتاب حول الجدرى والحميقاء فيها دليل قاطع على ان هذا المرض نال اهتماماً خاصاً من البلدى .

مرض الحميقاء (الجديري) عند البلدى

تناول البلدى في الباب التاسع والخمسين من كتابه تدبير الحبالى والاطفال والصبيان العلامات المنذرة الدالة على الجدرى والحصبة والحميقاء (الجديرى) واعطى لكل مرض من هذه الامراض وصفاً منفصلاً مما يدل على انه كان على دراية تامة بانها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً .

واذا كان الرازي (في رسالته عن الجدرى والحصبة) وباتفاق مؤرخي تاريخ الطب اول من وصف مرضي الجدري والحصبة كلا على حدة وميزهما عن بعضهما فانه حان الوقت الذي يجب فيه اعادة الحق لنصابه والاعتراف بحق البلدى في اعتباره اول من وصف مرض الحميقاء (الجديرى) وميزه عن الجدرى والحصبة ودليلنا على ذلك هو عدم ذكر هذا المرض من قبل احد من المؤلفين اليونانيين وكذلك العرب المسلمين من الذين سبقوه (من امثال الرازي ، احمد الطبري ، ابن سينا ، ابن الجزار) وغيرهم .

ذكر ابن ابي اصيبعة بين مؤلفات ابن ابي الأشعث « كتاب في الجديرى والحصبة والحميقاء » الا اننا لم نستطع معرفة محتويات هذا الكتاب ولا نعلم ان كان موجوداً ام مفقوداً ، كما واننا لم نعثر عند البلدي تلميذه اية اشارة للكتاب او لأقوال ابن الاشعث بالنسبة لمرض الحميقاء لذا فالى ان يتهيأ لنا او لغيرنا العثور على كتاب ابن الاشعث ودراسته فاننا نعتبر البلدى اول من فرّق مرض الحميقاء عن الحصبة والجدرى . هذا التفريق الواضح والمهم للحميقاء عن الحصبة يظهر جلياً عندما اكد على ان المصاب بالحصبة يمكن ان يصاب بالحميقاء وعندما اعطى الصورة الكاملة لاعراض هذا المرض وخاصة عند وصفه شكل الطفح يقول البلدى .

« الحميقاء / فاما الحميقا فانها لاتكاد ان يتعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع وان عرض منه شيء فيسير ويكون سنة واحدة في المزاج وتخص هذه الحمى قشعريرة يجدها العليل في جميع جسده ليست بنافض ولا برد ويوجد البدن مع هذه الحال حاراً مسربلاً احمر حمرة موردة ليست بالقانية والعينان ملامستين جاحظتين غير موردتين يدمعان ورأس الانف عظيم ليس بالاحمر والعليل كأن جسده جسد انسان قد خرج من حمام غير حار فهو يؤثر الدثار وسواه وما يكون منها في سن الرضاع لايتقدمه حمى وان كان كثيراً متحصد في البدن وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع الى السابع واذا ظهر لم يشبه الجدرى ولا الحصبة في حال البثة وذلك ان اشكاله قرصية او كاكبر ما يكون من العدس الجبلي وليس له رؤوس البثة وبثرته مطوقة بحمرة وسطها ابدا ابيض فاذا نضج فتصور معه موضعه من بدن الانسان قد رش عليه ماء مغلي فعمل في سطحه تنفط الا ان في ذلك الشكل وكثيراً مايسود ويجف مكانه ولا يسيل منه شيء فان سال بعضه لرطوبة جلة بدن العليل او لرطوبة موضع منه او بقيت به العلة سال منه شيء شبيه بماء يسيل في نفط النار وخروجه مسدد فليس يكاد يكثر في موضع واذا ظهر فقد امنت آفته وليس في تدبيره مشقة واكبر منه بمقدار او تحقيقه ومداواته لاغير وان مال الى بعض الاعضاء الرئيسية فالحال في تليينه يسره واكثره الى تمام اربعة عشر سنة وما احفظ اني رايتها بعد الاربعة عشر سنة ولا قال لي من اثق به انه رآها بعد

مرض الحميقاء (الجديري) عند البلدى

تناول البلدى في الباب التاسع والخمسين من كتابه تدبير الحبالى والاطفال والصبيان العلامات المنذرة الدالة على الجدرى والحصبة والحميقاء (الجديرى) واعطى لكل مرض من هذه الامراض وصفاً منفصلاً مما يدل على انه كان على دراية تامة بانها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً .

واذا كان الرازي (في رسالته عن الجدرى والحصبة) وباتفاق مؤرخي تاريخ الطب اول من وصف مرضي الجدري

والحصبة كلا على حدة وميزهما عن بعضهما فانه حان الوقت الذي يجب فيه اعادة الحق لنصابه والاعتراف بحق البلدى في اعتباره اول من وصف مرض الحميقاء (الجديرى) وميزه عن الجدرى والحصبة ودليلنا على ذلك هو عدم ذكر هذا المرض من قبل احد من المؤلفين اليونانيين وكذلك العرب المسلمين من الذين سبقوه (من امثال الرازي ، احمد الطبري ، ابن سينا ، ابن الجزار) وغيرهم .

ذكر ابن ابي اصيبعة بين مؤلفات ابن ابي الأشعث « كتاب في الجديرى والحصبة والحميقاء » الا اننا لم نستطع معرفة محتويات هذا الكتاب ولا نعلم ان كان موجوداً ام مفقوداً ، كما واننا لم نعثر عند البلدي تلميذه اية اشارة للكتاب او لأقوال ابن الاشعث بالنسبة لمرض الحميقاء لذا فالى ان يتهيء لنا او لغيرنا العثور على كتاب ابن الاشعث ودراسته فاننا نعتبر البلدى اول من فرّق مرض الحميقاء عن الحصبة والجدرى . هذا التفريق الواضح والمهم للحميقاء عن الحصبة يظهر جلياً عندما اكد على ان المصاب بالحصبة يمكن ان يصاب بالحميقاء وعندما اعطى الصورة الكاملة لاعراض هذا المرض وخاصة عند وصفه شكل الطفح يقول البلدى .

« الحميقاء / فاما الحميقا فانها لاتكاد ان يتعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع وان عرض منه شيء فيسير ويكون سنة واحدة في المزاج وتخص هذه الحمى قشعريرة يجدها العليل في جميع جسده ليست بنافض ولا برد ويوجد البدن مع هذه الحال حاراً مسربلاً احمر حمرة موردة ليست بالقانية والعينان ملامستين جاحظتين غير موردتين يدمعان ورأس الانف عظيم ليس بالاحمر والعليل كأن جسده جسد انسان قد خرج من حمام غير حار فهو يؤثر الدثار وبهواء وما يكون منها في سن الرضاع لايتقدمه حمى وان كان كثيراً متحصد في البدن وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع الى السابع واذا ظهر لم يشبه الجدرى ولا الحصبة في حال البثة وذلك ان اشكاله قرصية او كاكبر ما يكون من العدس الجبلي وليس له رؤوس البثة وبثرته مطوقة بحمرة وسطها ابدا ابيض فاذا نضج فتصور معه موضعه من بدن الانسان قد رش عليه ماء مغلي فعمل في سطحه تنفط الا ان في ذلك الشكل وكثيراً مايسود ويجف مكانه ولا يسيل منه شيء فان سال بعضه لرطوبة جملة بدن العليل او لرطوبة موضع منه او بقيت به العلة سال منه شيء شبيه بماء يسيل في نفط النار وخروجه مسدد فليس يكاد يكثر في موضع واذا ظهر فقد امنت آفته وليس في تدبيره مشقة واكبر منه بمقدار او تخفيفه ومداواته لاغير وان مال الى بعض الاعضاء الرئيسية فالحال في تليينه يسره واكثره الى تمام اربعة عشر سنة وما احفظ اني رايتها بعد الاربعة عشر سنة ولا قال لي من اثق به انه رآها بعد هذه السن اخص بها لغلبة الرطوبة على مزاج الطفل في هذه المدة واكثر ما يظهر بالعراق والبلدان الحارة الرطبة » (١٠) .

وعندما تناول علاج الجدرى والحميقاء والحصبة نجده فصّل معالجة كل مرض بشكل يختلف عن الآخر تأكيداً منه على انها امراض مختلفة وليست مرضاً واحداً يقول : (فاما الحميقة فلست بمحتاج فيها الى اخراج الدم اذا لم تتقدمها حمى فانهم هذا . واسقي العليل اقراص الكافور واقراص الطباشير بماء الرمان الحامض » (١١) . ولسوء الطالع بقي اكتشاف البلدى هذا كشخصه وكتابه « تدبير الحبالى والاطفال والصبيان » طي النسيان حيث لم ينتشر ذكره بشكل واسع ملموس كبقية اعلام الطب من امثال الرازي ، ابن سينا ، الزهراوي ، ابن النفيس .

والامر المحير حقاً هو عدم وجود اي ذكر لمرض الحميقاء لدى المتأخرين من الاطباء العرب من الذين جاءوا بعده من امثال مهذب الدين ابن هبل البغدادي (توفي ١٦١٠ / ١٢١٣م) وابن القف (١٢٣٢ ـ ١٢٨٦ م) وابن الازرق (المتوفى بعد ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) والانطاكي (من اطباء القرن العاشر الهجري) ترى هل انهم كانوا يجهلون هذا المرض ؟ ام انهم لم يطلعوا على كتاب البلدى ؟ واذا اطلعوا عليه فلماذا لم يذكروا عنه وعن مرض الحميقاء شيئاً ؟ .

اسئلة كثيرة لاتعرف الاجابة عنها ، وكل مانعرفه هو عدم وجود ذكر لمرض جدري الماء في المصادر الطبية العربية منها والاجنبية لأكثر من خمسة قرون تلت مجيء البلدى .

هذه الحقيقة دفعت البعض الى الاعتقاد بانه لم يكن لمساهمات البلدى اي تأثير في الطب العربي وهذا ما لايمكن قبوله وتصديقه فبالاضافة لما ذكرناه بالنسبة لمرض الجدرى فان للبلدى فضل اخر بالنسبة للامراض المعدية وعلم الحصانة حيث يمكن

اعتبار اول من كانت لديه فكرة الحصانة ضد الامراض وليس ابن رشد كما هو معروف . فقد سبقه البلدي في ذلك حينما اكد ان المصاب بالجدري او الحميقاء او الحصبة مرة لايصاب بها مرة اخرى يقول « فالغشى اخص العلامات بالجدري فاذا رأيت ذلك فاعلم انه يثور بالعليل حصبة ولا سيما اذا كان العليل لم يحصب وبخاصة اذا كان قد جدر وظهرت به الحميقا » (١٢) .

ونجد للبلدى ايضاً في هذا الباب التفاتة لها دلالة على احاطة عميقة بالنسبة للتوزيع الجغرافي للأمراض حيث يؤكد كما ذكرنا سابقاً على ان مرض الحميقاء (الجديري) ينتشر في المناطق الحارة وفي العراق .

مرض الحميقاء (الجديري) في المصادر الغربية :

فاذا اعدنا الى المصادر الطبية الغربية بالنسبة لهذا المرض فاننا نجد بان (فيدس فيديوس Vidus Vidius) كان احد اوائل الذين ذكرتهم المصادر الطبية من الذين قاموا بوصف الحميقاء = الجديرى (١٣) حيث كتب يقول « كثيرون اضافوا البلورية للحصبة والجدرى . واطلقوا ذلك على البثور المملوءة بالماء والبراقة كالبلورات ، ينتشر عدد كبير من هذه البثور في مناطق مختلفة من الجلد ، ويطلق عليها الآن Ravaglione لايصاب بها كل واحد كالجدرى والحصبة . ولاتكون اصابة الاشخاص بها شديدة ، لذا يجب عدم اعتبار هذه التنقطات كنوع متحور ثالث من الجدرى والحصبة (١٤) .

يقول الدكتور ارهرت كالة (استاذ تاريخ طب الاطفال في معهد تاريخ الطب ـ جامعة ورزبيرك ـ المانيا الغربية) .

« ان فيدس فيديوس لم يستطع هنا تفريق الجدبرى عن الجدرى والحصبة بل شاهد فيها نوعاً بسيطاً متغيراً من الأثنين) .

اما المؤلف الثاني الذي يشار اليه كارل واصف لمرض الجديرى فهو (جيوفاني فيلبّو انكراسيا (١٥١٠ ـ ١٥٨٠ م) (Giovanni Filipo Ingrasia) من باليرموفي كتاب نشره سنة ١٥٥٣ (١٥)

يقول انكراسيا عن الجديري :

« . . . حبيبات ترمسية تنتشر على الجسم كله . بيضاء تعكس الضوء كالبلورات . واذا تفتحت يخرج منها سائل . . انها اقل خطورة ، وعادة تكون بدون حمى » (١٦) .

يقول الدكتور ارهرت كاله « ان انكرسيا فرق بشكل واضح بين الحصبة والجدرى وبين الطفح البلوري . . الاّ انه مهما يكن فان هذين الوصفين من القرن السادس عشر ليسا دقيقين كوصف البلدى » .

ويؤكد ارهرت القول فيقول لذا من الآن فصاعداً يجب ان يقترن اسم البلدى كاول واصف لمرض الجديري او جدري الماء في تاريخ طب الأطفال » (١٧) .

وبعد هذا اقول لقد حان الوقت الذي يجب ان ننفي لهذا الرجل الذي نشأ ودرس في هذا البلد بعضاً من حقوقه ونساويه بغيره من العمالقة من الاطباء العرب المسلمين (امثال الرازي وابن سينا والزهراوي وابن النفيس) فنطلق اسم البلدي على قاعة من قاعات التدريس في كلية الطب او مستشفى من مستشفيات الاطفال في هذه المحافظة تخليداً لذكرى تأليفه اوسع واكمل كتاب في طب الاطفال والولادة قبل عشرة قرون وتثميناً لقيامه بوصف معالم واعراض مرض الجديرى الذي يعتبر احد امراض الاطفال بشكل واضح وجلي قبل من نسب لهم اكتشاف هذا المرض باكثر من خمسة قرون واخيراً لأرسائه الدعامة الاولى لعلم الحصانة ضد الأمراض .

الثالث ابن هبل البغدادي (توفي سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣م) .

هو ابو الحسن علي بن احمد بن هبل ، ولد في بغداد ، حفظ القرآن ودرس الفقه في المدرسة النظامية ببغداد . تعلم الطب على ابي البركات علي ملكاً . فعرف في بغداد فقيها واديباً وطبيباً ماهراً ، ثم اقام في الموصل ، ومنها سافر الى اذربيجان ثم ماردين وعاد الى الموصل حيث عمل له مجلساً يعلم فيه الحكمة والطب وهو فاقد البصر وعاش اكثر من مائة سنة . اشهر مؤلفاته كتاب المختارات في الطب كتبه في الموصل (سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤) وهو باربعة اجزاء يتميز بحسن التبويب وسهولة العثور على المراجع والأختصار .

عقد اربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة امراض الأطفال في كتابه المختارات في الطب الجزء الأول . وفيها الكثير من الأفكار القيمة والأراء السديدة .

حيث سرد في فصل « خلق الانسان » علم الأجنة بالنسبة لزمانه وفي فصل « في تدبير المولود » ابتدأ بتقديم النصائح للحامل للحفاظ على الجنين من اي مكروه ولتسهيل ولادته . ثم تكلم عن كيفية استقبال المولود والعناية به عند الولادة وكيفية تغذيته ونومه . وصفات الحليب الجيد وشروط المرضعة وكيفية تغذيتها . وكيفية تعويد الطفل على الأكل وفطامه والعناية به عند بروز اسنانه ومشيه .

وفي الفصل الذي يلي ذلك تحدث عن مداواة امراض الأطفال .

والأمراض التي ذكرها كانت (التشنج ، الأسهال ، القلاع ، اورام في ناحية اوتار اللحيين ، الكزاز ، ورم السرة ، سهر وبكاء ، زكام وسعال ، التفزع سيلان الرطوبة من الأذن ، عطاس ، ورم اللوزتين اللهاة ، ريح الصبيان ، الفتق ، الحمى ، البثور ، انتفاخ الأجفان ، سحج الفخذين ، الدود) .

وفي الفصل الذي بعد ذلك تكلم عن كيفية العناية بغذاء الطفل وتربيته بعد ان يكبر وكيفية اختيار المعلم الجيد وتعويده الخصال الحميدة وتوجيهه الوجهة الصحيحة بالنسبة لمستقبله .

(١٨)

الرابع عبداللطيف البغدادي .

هو موفق الدين محمد بن عبداللطيف البغدادي الطبيب السائح الفيلسوف العربي . موصلي الأصل ولد في بغداد وساح في العراق وبعد ان اكمل علومه فيها ذهب الى دمشق واجتمع بعلمائها وناظرهم ثم ذهب الى مصر واجتمع بعلمائها .

كان عبداللطيف يقرىء الناس الطب في الجامع الأزهر ثم توجه الى القدس والتقى فيها بصلاح الدين الأيوبي ثم قصد دمشق ونزل فيها في المدرسة الوزيرية وشرع في التدريس والاشتغال بالطب ثم استقر في حلب واشتغل فيها بتدريس وممارسة صناعة الطب .

اشتهر باعلان ارائه ومخالفته لجالينوس وغيره ممن سبقوه من الأطباء العرب . له مؤلفات في مختلف العلوم ومن كتبه المشهورة في الطب / مقالة في الحواس ، كتاب الأفادة والأعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر .

نجد في اقوال عبداللطيف البغدادي في مقالته عن الحواس ، اشارات لعمل بعض المرمونات وعلاقتها بتغيرات الشكل والتشوهات الخلقية من ذلك (القوة النامية) التي تشبه عمل هورمون النمو و (القوة الغاذية) التي تقابل عمل الهورمونات الأبتنائية و(الألتحاء) الذي يوازي عمل هورمون الجنس ، يقول :

« ان القبح انما هو تناسب الأعضاء ورداءة السحنة وقلة النضارة .

واما القباءة فهي محق الخلقة ، ونقصان النمو والحسن ، واما الجمال فهو عظم الصورة لتناسب الأعضاء وتمام حسنها ، وقد يعرض لبعض الصبيان القبح لعدم التناسب ورداءة السحنة وقلة النضارة ، وتعرض له القباءة لضعف النمو ، فاذا راهق والتحى حصل له باللحية اعتدال وتناسبت وسترت من الأعضاء ماكان سيئاً وسبب القبح ثم حصلت له النضارة بحسب سن الشباب ، فانها سن من شأنها ان تولد الدم وتغلب فيها الحرارة وتقل الرطوبة ويحدث الجمال بالنمو الكائن عند الأنبات ، مضافاً الى التناسب الحاصل باللحية مع النضارة ، وبعض الصبيان يكون معتدل الشكل حسن الصورة ، فاذا التحى اختل التناسب ، ونفس الاعتلال ، وتعرض له القباءة لفتور من القوة النامية ، ونفاذ من المادة القابلة » .

ويضيف البغدادي « واعلم ان كثيراً ماتجدد الحسن والجمال عند الانبات وبعده لسببين سوى ماتقدم ، احدهما ان تكون امراض ممكنة في بعض الأعضاء او في المزاج نفسه ، فاذا نهضت الطبيعة عند البلوغ وتنبهت قويت على شفاء تلك الاسقام وتصحيح تلك الاعضاء ، فعاد البدن حينئذ الى اعتداله ، فحسنت لذلك حاله » (١٩) .

والاختلاف بين القوة الغاذية والقوة النامية واضح في ظواهر يذكرها عبداللطيف البغدادي فيقول (٢٠) انك ترى هذه الاختلافات في الذين وقف بهم النشء واستمر فيهم فعل الغاذية وفي الذين خارت فيهم القوة الغاذية واستمر فيهم النمو ، بحيث ترى الواحدة منها قوية والثانية ضعيفة او بالعكس . ترى مثلاً الصبيان المعلولين او المبطونين يطولون والشيوخ يخصبون ، وترى القروح تندمل والجراح تلتئم ، والعظام تنجبر في ابدان

المسلولين .

« ونحن نطلع على هذه الآراء لابد ان نعترف بانها تنم على تحليل دقيق لعمليات النشء والنمو والتطور وكأننا نطلع على آخر ماعرف عن اشتراك (الجينات) الممثلة لكل جزء من الجسم في تركيب كروموسومات المني ، وعلى اخر ماعرف عن هورمون النمو وعن تباين افعاله عن الافعال التي لاترمي الاّ الى مجرد زيادة الحجم او الوزن واستقلالها الى حد بعيد عن الحالة الغذائية ، بل عن اتجاه هذا الهورمون احياناً اتجاها عكسياً ، مثلاً في الأقزام البدان المصابين تتوقف وظيفة الفص الامامي من الغدة النخامية او بخلل في المراكز العصبية المسيطرة على هذه الغدة او بقلة افراز الغدة الدرقية .

وباختصار فاننا نرى الغذاء يتحول الى مني في الأنثيين اي الغدد الجنسية بفعل القوى العاملة على بقاء النوع ، وبالتحديد بفعل القوة المولدة ، ثم تفصل القوة المولدة اجزاء المني التي استمدتها من جميع اعضاء الجسم الى امزجة ثلاثم امزجة الاعضاء عضواً عضواً ثم تسلط عليها القوى النفسانية والطبيعية والحيوانية لتحويلها الى معدنها ، ومن ثم تقع هذه الامزجة تحت تأثير القوة المصورة الطابعة المخدومة من القوتين الغاذية والنامية والتي تخطط الاعضاء وتشكل الاشكال والتجاويف والاوضاع والمشاركة والملامسة والخشونة »[٢١]

الهوامش والمصادر

١ ـ ابن ابي اصيبعة طبقات الاطباء ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٧ .

٣ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٨ .

٤ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

٥ ـ ابن ابي الاشعث ـ احمد / الادوية المفردة نسخة المتحف البريطاني الخطية ص ١٢ .

٦ ـ حارنة سامي خلف فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة في المكتبة البريطانية ص ٦٦ .

٧ ـ ابن ابي اصيبعة طبقات الاطباء ص ٢٤٨ .

٨ ـ حارنة المصدر المذكور سابقاً ص ٦٦ .

٩ ـ البلدى ـ احمد بن محمد / كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ص ٣٥ ـ ٣٦ .

١٠ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

١١ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٥ .

١٢ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٤ .

١٣ ـ كالة ـ ارهرت / وصف البلدى لجدرى الماء ـ بحث قدم للندوة العالمية حول الطفل في الطب العربي ـ ١٥ ـ ٢٠ مارس ١٩٨٢ ـ طرابلس ـ ليبيا . مجلد ابحاث الندوة باللغة الانكليزية :

The DESCRIPTION OF VARICELLA BY AL — BALADI ERHART KAHILLE/ F. R. G. P. 241.

١٤ ـ المصدر نفسه بالاصل منقول عن Ebstein 1906. p 183. AShort History of Medicine P. 203.

١٥ Charles Singer And E. Ashworth Underwood

١٦ ـ كالة ارهرت / المصدر السابق بالاصل عن Ebstein 1906 P. 184.

١٧ ـ المصدر نفسه .

١٨ ـ الحاج قاسم ـ الدكتور محمود / تاريخ طب الاطفال عند العرب الطبعة الثانية . ص ١٤١ .

١٩ ـ البغدادي ـ عبداللطيف مقالتان في الحواس . تحقيق د . بول غليونجي ، د . سعيد عبده ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ .

٢١ ـ المصدر نفسه ص٩٦ .

٢٢ ـ غليونجي ـ د . بول / الجنس والنمو في طب العصر الاسلامي ص٣ / بحث قدم للندوة العالمية عن الطفل في الطب العربي طرابلس ليبيا ١٥ ـ ٢٠مارس ـ ١٩٨٢ .